هويتنا في ظل هيمنتهم

(قراءة في إشكالية الهوية الإسلامية وصراع الحضارات)

الدكتورجميل حليل نعمة المعلة

أستاذ الفلسفة المساعد جامعة الكوفة كلية الآداب– العراق

المقدمة

مشكلة البحث :

نحن هنا نحاول أن نقف عند أسباب البعد القيمي في ظل العولمة الذي يكشف عن النوازع الأخلاقية التي يحركها البعد الذرائعي النفعي الذي يأخذ من القوة كدافع لغرض الهيمنة ، ومن المنفعة محرض وغاية .

وذلك كون العولمة بحسب ما تطرحه من فرضيات تقوم على الأفكار الاقتصادية وفرض الهيمنة العسكرية القائمة على مبدأ القوة من جانب، و الجانب الأخر القائم على النقد الثقافي والقيمي عند الأخر ، والذي يحاول تقديم نقد لتلك الثقافات بهدف الترويج السلعي الذي يتحقق من خلال تغير البعد القيمي ، وخلق أبعاد أخرى قائمة على السلعية والاستهلاك من أجل خلق قيم بديلة يروج لها عبر وسائل الإعلام .

الغاية من البحث :

إن ما نرجو الوصول إليه هو كشف الوسائل التي تقوم بها الرأسمالية الليبرالية عبر فرض نمط معين من التعامل يتم خلال استثمار الإمكانيات العلمية والتقنية من أجل ترويج لثقافة معينة تقوم على تبرير الهيمنة والإقناع بالكوكبية التي تدور حول مشروع الرأسمالية الذي يبرر هذا من خلال منطلقات تقوم على المعاصرة والإرادة الدولية والقانون الدولي والديمقراطية وحقوق الإنسان ، في الوقت الذي نجد فيه أن المحرض على هذه المقولات هو تبرير التسلط على الآخرين ونهب ثرواتهم مما يجعل تلك الشعارات وسائل دعائية في خلق مخيل جامعي استهلاكي يبرر منطلق السيطرة الرأسمالية الليبرالية على العالم والتلاعب بمقدراته .

حدود البحث:

تقوم هذه المعالجة على عرض السيطرة الثقافية التي تطرح وسائل تقوم على الاستلاب أو الضياع واللاهوية الذي يقذف بالضائعين بعيدا عن أهلهم ووطنهم من خلال ما تشجعه أبواق العولمة بلغة جذابة ومغرية لتترك الذين يستجيبون لخطابها بعيدين عن ثوابت مجتمعهم المعرفية والأخلاقية من خلال ما تطرحه من نهاية القومية والدولة العرقية ، وتحويل العالم إلى طرف منتج للبضاعة وطرف مستهلك لها . وكذلك من خلال رسم العلاقة بين (الذات والآخر) إذ يشعر المسلمون اليوم بأنهم يتعرضون للتهميش المتزايد على المستويات كافة يوما بعد يوم ، ويحس المواطن المسلم باغتراب شبه تام عن الواقع الذي يعيش فيه .

وزاد في مأزق المسلمون في هذه المرحلة هو هيمنة العولمة ، إذ ظهر جليا تجاهل الثقافة الإسلامية طوال العقود المنصرمة ، وكذلك مراكز البحث العلمي شبه غائبة أو مغيبة عن الفعل الثقافي على امتداد العالم الإسلامي.

ودليلنا والكلام هنا للدكتور محمد الأنصاري ، هو هزال الإنتاج الثقافي المنشور بالثقافة الإسلامية لدرجة بات معها التداول اليومي بالتراث الإسلامي شبه معدوم على المستوى العالمي . هذا في وقت يتحول فيه المسلمون إلى كتلة بشرية تقاس بالتراكم الكمي الذي يزداد بالملايين عاما بعد عام . هكذا بدا لأمريكا بل والغرب أيضا ، وكأن المسلمون خرجوا نهائيا من تاريخ الحاضر والفعل فيه على المستوى الكوني ليرتموا واهمين في أحضان تاريخهم القديم مبتعدين بشكل إرادي عن مواجهة مشكلات الحاضر ومتطلبات بناء غد أفضل يعيد للمسلمون دورهم في الحضارة الكونية الشاملة من موقع الفاعل فيها وليس موقع المستهلك لثقافات الغير .

إن رسم العلاقة في نظرنا بين الذات والآخر تكون من خلال الحوار المسؤول الذي يتمثل في احترام الرأي والرأي الآخر والدعوة إلى تطبيق القوانين والقرارات الدولية بشكل عادل وغير منحاز ، هذه شروط لا غنى عنها لبناء غد أفضل تكون فيه الرغبة في حل الخلافات الدولية بالحوار بدل القوة العسكرية ذات المنطق اللااخلاقي . فالحوار الثقافي (الأخلاقي العقائدي) هو النقيض العملي لنبذ ثقافة اللا أخلاقية التي تهدف إلى تغليب مصلحة دولة أو جماعة على مصالح بقية الدول أو الجماعات الأخرى .

لذلك ينبغي على أمتنا الإسلامية ذات البعد الحضاري العريق أن تتخطى أسباب التخلف والفرقة والشتات وعوامل التحدي المفروضة عليها فرضا، لحماية (الذات) ولحفظ الاتجاه السليم للمسيرة في الظرف الحالي والمستقبلي ، هذا الظرف الذي لا يجامل الضعفاء ، ويقوم على منطق قوة العولمة وقيمها (اللا أخلاقية) وتعويمها لكل شيء تحت شتى الأشكال والذرائع والأساليب . وعلى هذا وقفنا عند البعد الثقافي من العولمة القائم على منطق الهيمنة اللا أخلاقي .

وحتى تكون دراستنا للعولمة أكثر شمولا ، ولكي يصبح فهمنا لمرجعياتها أكثر دقة ، يجب ان نقدم ربط موضوعي بين ظاهرة العولمة وبين بعض النظريات التي قدمت من قبل منظرين غربيين في مجال فلسفة السياسة والقيم الأخلاقية وصيرورة التاريخ ، ولعل ابرز هذه النظريات في هذا السياق ما يأتي :

أولاً :- نظرية صدام الحضارات

معلوم إن مفهوم (صدام الحضارات) الذي روجه (صموئيل هنتنغتون)[1] مفهوم مزدوج : توصيفي وتوجيهي في آن واحد، إذ لا يكتفي صاحبه بوصف المجموعات الحضارية الثمانية التي يحتضنها العالم تاريخا وواقعا ، بل أيضا يحدد الخطط التي ينبغي أن تتبعها هذه المجموعات في التعامل بعضها مع بعض وهذا التعامل هو بدوره مزدوج – تعايشي وتصارعي في آن واحد – إذ لا يكتفي هذا المؤلف بأن يبحث مختلف مظاهر وأسباب التنازع بين الحضارة الغربية وغيرها من الحضارات وأن يعالج احتمالات دخولها في الحروب بعضها مع بعض،بل أيضا يوضح مسلكين متعارضين للتواجد أوالتهادن بينها، إما مسلك حفظ الهيمنة الغربية ، وإما مسلك حفظ التعددية الثقافية . ويتميز مفهوم (الصدام) عن نظائره من المفاهيم مثل (النزاع) و(الصراع) ، فإذا كان النزاع يغلب عليه الطابع السياسي والصراع يغلب عليه الطابع الاقتصادي، فان (الصدام) يختص باعتماد العنصر الثقافي وتقديمه على العنصرين – السياسة والاقتصاد- . ولا شئ أدعى اليوم إلى الصدام

من اعتقاد الغرب الراسخ بشمولية ثقافته وحضارته[2]، مما أدى به هذا الأمر إلى التطرق في نظريته إلى الثقافة مدعيا أن ثقافته نمط في الفكر ليس في الأنماط الفكرية الأخرى لا أنور ولا اعقل ولا أحدث منه ومستنفرا كل وسائله لحمل شعوب العالم على الأخذ بها، على تعارضها مع بعض قيم ومؤسسات وممارسات هذه الشعوب[3].

والواقع أن هذا التطرق البعيد ناتج عن المطابقة الباطلة بين الثقافة التي هي نتاج يختلف باختلاف الأمم وبين المعاني الأخلاقية العليا التي تنطوي عليها الثقافة والتي قد لا تختلف في جزء منها باختلاف هذه الأمم.

ثانيا: نظرية نهاية التاريخ .

أ- مفهوم التاريخ ونهايته:[4]

نناقش في هذا المبحث مفهوم التاريخ ونهايته من خلال حقب زمنية متعددة ومترابطة تبدأ بالطرح الأسطوري لهذين المفهومين وتنتهي بما بعد الحداثة ، لكي نخرج بتصور عام حول هذين المفهومين نستطيع بعده إعطاء تعريف واضح ومحدد للتاريخ .

شغلت نهاية التاريخ الفكر الإنساني منذ الفجر الأول لها وأقدم ما وصل إلينا هو رقع طينية سومرية ومجموعة من البردي الفرعوني الذي يشرح وجهة النظر المتعلقة بناهية التاريخ والبشرية . فالعراقي القديم كان يؤمن بالدورة الكونية للحياة وأن بعد هذه الحياة حياة. أما المصريون فكانوا يؤمنون بوجود نهاية حتمية للتاريخ والبشرية ، فشيدوا الأهرامات لأجل ذلك .

إن تصور الإنسان العراقي القديم عن نهاية العالم منتزع من نفس فكرة نشوءه إذ أن تكون العالم لديه هو تكون مادي بحت فالكينونة والصيرورة[5] مادية وكذا الانحلال في دورة كونية مادية ، وهكذا هو تصور المصريون عن العالم إلا أن الاختلاف هو فكرة الحياة بعد الموت واستمرار الإنسان في حياته والظاهر هو مادية هذه الحياة أيضا لما وجده العلماء من طعام وشراب وملابس وأموال تدل على مادية تلك الحياة .

وتتجلى نهاية التاريخ في عالم المادة والفناء لدى أفلاطون بقيام الجمهورية الفاضلة التي نظر إليها أفلاطون بلسان أستاذه سقراط[6] في حوارية جمعت فلاسفة ومفكرين يونان من مشارب عديدة حملت فيما بعد اسم (جمهورية أفلاطون)[7] . والمتتبع لطرح أفلاطون في جمهوريته يلاحظ أن الوصول وتحقيق تلك الجمهورية هي نهاية البشرية[8].

وبالانتقال إلى عصر آخر وهو العصر المسيحي الأول ، نلاحظ أن رأي المسيحية[9] هو رأي ديني قائم على أساس الوحي بغض النظر عن مدى دقة والتزام أتباع ذلك الدين بهذه الحقيقة . فكانت لديهم فكرة عن مدينة الله تلك المدينة التي كانوا يرومون بناءها لاعتقادهم :

1- أنهم أبناء الله .

2- اعتقادهم بشمولية الدين المسيحي وخاتميته .

ورغم محاولاتهم بناء تلك المدينة في أوربا وغيرها من بلدان الشرق إلا إنها لم تنجح وذلك بسبب استبداد ملوكهم ورجال الكنيسة وإيغالهم في ظلم الناس ، وعلى كل حال فوجهة نظرهم أن (مدينة الله)[10] والوصول لتحقيقها هي نهاية التاريخ والسعادة لكل البشرية المعذبة . وأعتقد أن المحاولة السابعة لإنشاء مثل هذه المدينة قد بدأت تتبلور بشكل جديد الآن من خلال النظام العالمي الجديد فالناس هم الناس والظلم هو نفس الظلم .

وبعد هذه الحقبة من التاريخ بزغت شمس الإسلام على أصقاع الدنيا وبرزت نهاية التاريخ معه ولكن بصورة مغايرة لكل ما مر وذلك لعدة أسباب :

1- ثبوت خاتمية الدين الإسلامي عقلا ونقلا .

2- تمتع الإسلام باستمرارية الإبداع والتجديد على مر العصور .

3- إمكانية إقامة الدولة الفاضلة بل حتميتها (هذا لو فرضنا ان الغاية هي تلك الدولة فقط).

ولو تعمقنا في اطروحات الفلاسفة المسلمين لوجدناهم يتفقون على نقطة جوهرية وهي اعتقادهم بالنهاية السعيدة ولكافة البشرية انطلاقا من قوله تعالى (وتلك الأرض يرثها عبادنا الصالحون) فالمدينة الفاضلة والإنسان الفاضل هو ما يريده الإسلام في هذه الدنيا والذي يعتبر قيامها تمهيدا للآخرة.

فانطلاق الفلاسفة المسلمون من هذا المبدأ ألا وهو الدولة الفاضلة والإنسان الفاضل الذي يمكن الادعاء أنها نهاية التاريخ البشري وبداية المشوار التكاملي في مراتب الآخرة .

أما الحقبة التي تلت المرحلة المدرسية فهي الانفجار الفكري والصناعي في أوربا والذي سمي بعصر النهضة ، إذ منه ابتدأ ما عرف بالحداثة فيما بعد إذ بدأت الأطروحات في كل مجال متخذة منحى نقدي شديد على كل موروث ، وظهر فلاسفة ومفكرون نظروا لفكرة الأنسنة والتي تقول ان محور الوجود يدور حول الإنسان وجودا وعدما ، وهو ما نلاحظه لدى معظم مفكري الفلسفة الحديثة بل وصلت هذه الأطروحات إلى ذروتها الآن في ما يسمى (ما بعد الحداثة)[11] فقد أفرد الفلاسفة فصولا مطولة عن الإنسان وخصائصه . أما الجانب الآخر أي جانب نهاية التاريخ فهناك اتفاق جوهري على أن النهاية السعيدة هي في الوصول إلى النظام الديمقراطي الليبرالي الذي يشارك الشعب في تقرير مصيره بكثافة، إذ يقول بندكت باروخ اسبينوزا [12] (كلما اتسعت مشاركة الشعب في الحكم قوي التحاب والاتحاد ..... إذا كان الاتحاد أو أساس الاتحاد المنفعة العامة للشعب فللشعب أن يقرر الأوامر والنواهي وأن ينقد السلطة بل أن يثور عليها)[13].

بل زاد (جون لوك)[14] أكثر ووصل إلى حد أبعد إذ نظر للحريات ولفصل الدين عن الدولة (يجب الفصل بين الدولة والكنيسة)[15]. وهو المنظر للحرية الشخصية وحرية الملكية الفردية .

أما في عصرنا الحاضر فقط برزت أطروحات حول فكرة التاريخ ونهايته وهي في الحقيقة ليست جديدة بل هي متجددة ومضاف إليها أفكار جديدة وآخرها وليس أخيرها هي أطروحة نهاية التاريخ لـ(فرنسيس فوكوياما)[16]. فهو يعرض إلى نهاية التاريخ المتمثل في قيام النظام الديمقراطي الليبرالي وأن الإنسان الأخير هو الإنسان الديمقراطي الليبرالي .

لقد مهدت هذه النظرية الطريق لظهور العولمة ورسمت الأطر المتكاملة لهذه الظاهرة باعتبارها قد أقرت أن صيرورة التاريخ في حركته الكونية وخطواته الرئيسية قد توقفت عند النظام العالمي الجديد ذو القطبية الواحدة (الولايات المتحدة الأمريكية) بعد انتصارها على المعسكر الشيوعي[17] وهيمنة الرأسمالية الليبرالية واقتصاد السوق في أرجاء العالم ، وهذا يعني – بالضرورة- عدم ظهور مذاهب فكرية أو معتقدات جديدة وعدم بروز أيديولوجيات تقف بوجه السيطرة المطلقة للرأسمالية الليبرالية باعتبارها الأنموذج الذي ساد

الغرب ، وبالتالي فلا بد لكل دول العالم أن تحاول محاكاته ، ويجب عليها أيضا أن تبقى تدور في فلكه وترضخ لاملاءاته[18].

فجاءت العولمة لتصوغ الإطار النظري الذي يشتمل على آليات تحقيق هذه النظرية . إن من الركائز التي تنهض عليها ظاهرة العولمة هي الدعوة إلى إنشاء المجتمع العالمي (الدولي) الجديد ، وما يتبعه من حقوق المواطنة العالمية وهذه الدعوة تشكل مدخلا لظاهرة خطيرة تعطي الحق للدول العظمى – ان تتدخل في أي مكان من العالم وفي كل صغيرة وكبيرة لتفرض إرادتها ، وبلا أدنى شك فإن هذا ينبع أساسا من إعتبارات مصلحية، ولأجل تحقيق هذا التدخل وإعطائه الصبغة القانونية أو الغطاء الشرعي فأن الدول العظمى – تسخر مجلس الأمن وهيئة الأمم والمنظمات التابعة لها وتجبرها على تنفيذ هذه المنهجية السياسية متخذة واجهات براقة مثل الشرعية الدولية وحقوق الإنسان والديمقراطية للتغطية على دوافعها الحقيقية .

ملاحظات الباحث حول نظرية نهاية التاريخ :-

1- لا إشكال عند أي أحد كون الإبداع سمة من سمات الإنسانية وأن من حق أي إنسان أن يبدع في مجال تخصصه وان يفعل هذا الإبداع من خلال طرحه على الآخرين لرؤية الصالح منه والتنبيه على غير الصالح ليتم تجاوزه . والإبداع له ضوابط ومعايير لابد من مراعاتها قبل البدء بأي عملية إبداعية منها الموضوعية في الطرح ومنها الدقة في المناقشة ونقل الآراء أو قل الدقة في فهم آراء الآخرين وأطروحاتهم قبل نقلها ، ومنها تحري الحقيقة في البحث إلى عشرات الضوابط التي لا يمكن للباحث المنصف العقلاني التنصل عنها أبداً . ولكن الذي حدث هنا ان الكاتب لم يتحرى عن أي من تلك الضوابط بل باشر البحث من خلال طرح مفهوم للتاريخ بمقاربات هيغلية وماركسية . وكذلك نسب الليبرالية إلى هيغل والبون شاسع والكل يدعي وصلا بهيغل وهيغل لا يقر لهم بذلك . لذلك نرى أن تحميل النص الفلسفي أكثر مما يحتمل جناية على النص وعلى صاحبه وعلى المتلقي . فمن الممكن فهم فلسفة هيغل وإخراج أسرارها من خلال دراسة عصر هيغل دراسة اجتماعية واقتصادية وفكرية ونفسية لمعرفة الأجواء التي برز فيها هذا المفكر أو ذاك وهذه في الحقيقة مرفوضة لدى الكاتب فالكاتب لا يقر بمبدأ العصور والحقب الزمنية وأنها تشكل عمق التطور.

2- من المعروف لدى أهل الاختصاص من دارسين وباحثين في الحقول التاريخية أن مجموع ما يطلق عليه اسم التاريخ هو هذا المسار الطويل للبشرية بكل ما يحمل من علوم وفنون وسياسة وأنظمة حكم ومعاناة ومآسي ..الخ . كل هذا يشكل التاريخ لا تتابع الأحداث هو التاريخ الاصطلاحي وأن المسار التطوري هو التاريخ الغير اصطلاحي , بل هو من إبداع فوكوياما . إن تتابع الأحداث هو عينه المسيرة التطورية وكذا العكس فإن المسيرة التطورية هي تتابع الأحداث. فإن ما عناه الكاتب لا يمكن تصوره بصورة منفصلة عن الحقبة التي حدث فيها لأن دراسة واقع الحقب الزمنية ومجريات أحداثها هي التي تكون عندنا فكرة عن المسار التكاملي وعن ما توصلت إليه تلك الحقبة وناسها من أفكار لحل مشكلات حياتهم لذا فإن الأساس الأول من النظرية يمكن نسفه بهذه المقاربة الفلسفية للتاريخ .

3- الملاحظة الثالثة حول أبدية النظام الديمقراطي الليبرالي وانه نهاية ما توصلت له الإنسانية المعذبة في أطوار مسيرتها نحو التحرر:-

فنقول – مما لاشك فيه ان النظام الديمقراطي للحكم هو نظام قديم يرجع إلى عهود ما قبل اليونان ، ولكنه اخذ صيغته المنهجية في العهد اليوناني (والكلمة أي الديمقراطية هي كلمة يونانية الأصل تتكون من مقطعين هما (ديمو) و(قراط) أي حكم الشعب بمعنى أن الشعب هو صاحب القرار في رسم سياسة البلد ويتم عن طريق انتخاب ممثلين لهم في مجلس الشيوخ). ومن المؤاخذات على هذا النظام هو أن العامة لا تستطيع أن تحدد مصالحها لغلبة العاطفة على القرارات التي تتبناها في الأعم الأغلب كما أن من الممكن للدهماء أن يتسلموا مناصب في هذا المجلس مما قد يؤدي إلى نتائج غير محمودة العواقب إضافة إلى إشكالية مدى نفع مثل هذا النظام في بلدان ترزح تحت نير الدكتاتورية وهناك طبعا أجوبة لهذه الإشكالات منها تحديد صفات المتقدم للترشيح وتحديد عمر المرشح والمقترع ...الخ الحلول . لكننا نلاحظ أن هذه الحلول غير كافية والدليل هو أن الحزب النازي في ألمانيا ارتقى سلم الحكم عن طريق الانتخابات الديمقراطية وجرى ما جرى على يده من موت خمسين مليون إنسان في الحرب الكونية الثانية في القرن العشرين والى أضرار اقتصادية جسيمة لا تزال دول ترضخ تحت وطئتها إضافة إلى بروز العديد من الأمراض الاجتماعية والنفسية وظهور مافيات على شكل شركات بل دول ...الخ.

كل هذا يدعنا نقف أمام هذه الأبدية الفوكويامية ونتأمل ما هو مصير الشعوب التي تطبق فيها الديمقراطية إذا وصل مثل النازيين وغيرهم ممن لا يؤمنون بالآخر إلى السلطة وما هي الحلول المقترحة لوقف أو الحد من ظهور أنظمة نازية جديدة أعتقد أنه تساؤل مشروع ؟ لا يقال إن الديمقراطية تحمي نفسها وترفض كل أشكال العنصرية وأن البلد والشعب الذي يعيش الديمقراطية لن يرضى بديل آخر عنها ، لأنا نرى أن التاريخ يحدثنا عن أناس قبلوا بالدكتاتورية ورفضوا الديمقراطية رغم علمهم بضحالة مثل هذا الأنظمة وليس آخرهم الشعب الألماني .

لا يقال إن القائمين على رعاية الديمقراطية سوف يمنعون بكل الوسائل المتاحة من يريد أن يتسلم المنصب من غير الديمقراطيين ، لأن هذا الفعل هو خلاف أصول اللعبة الديمقراطية التي تنص على التبادل السلمي للسلطة.

4- إن مقاربة الكاتب بين التطور الاقتصادي والتطور السياسي بمعنى أن الدولة التي تتقدم اقتصاديا يكون التطور السياسي نحو الحريات تطور ملازم للتطور الاقتصادي بتقريب أن سياسة السوق المفتوحة وحرية التجارة تحتم على الدول التي تريد التقدم الاقتصادي أن تغير من سياستها نحو مزيد من الحريات لشعوبها ، يقول الكاتب (وقد رافقت الثورة الليبرالية في الفكر الاقتصادي دائما – تارة قبل وتارة بعد – التطور نحو الحرية السياسية في العالم أجمع) وهذا الكلام لا يستقيم أبدا مع الحقائق والواقع على الأرض فهذا (العملاق الصيني) كأنموذج يعتبر من أول اقتصاديات آسيا بل العالم وهو لا يزال تحت الحكم الفردي الشمولي الدكتاتوري ولا يزال النظام الدكتاتوري هو الحاكم ومن المفارقات العجيبة هو اعتراف الكاتب بأن بعض الدول المستبدة هي الأفضل من ناحية التقدم الاقتصادي وأن الاستبداد القائم في هذه الدول استطاع أن يحقق اقتصاد مزدهر ، يقول الكاتب (وبالمقابل لدينا عدد كبير من الأمثلة التاريخية والمعاصرة عن رأسمالية متقدمة تكنولوجيا تتعايش مع تسلطية سياسية واضحة كما في اليابان بعد ثوره المايجي وألمانيا في عهد بسمارك إلى تايلاند وسنغافورة في العصر الحالي فالدول المتسلطة هي قادرة في حالات كثيرة على بلوغ نسبة من النمو الاقتصادي لا يمكن تحقيقها في المجتمعات الديمقراطية)[19] والأعجب من هذا كله هو جزم الكاتب مرة أخرى بأن السبيل نحو التقدم هو تطبيق النظام الديمقراطي الليبرالي .

ما هذا التناقض لدى الكاتب بل ولكتاب آخرين يسيرون على نفس هذا المنهج ، إن كل عاقل على هذه الأرض يفهم أن ضياع الحرية هو ضياع لكل شئ جميل سواء كان هذا الشئ ماديا أم غير مادي ، وما نفع الكلام عن الحرية وسط أناس لم يسمعوا بها فان كلامك يشبه كلام عالم وسط جهال أو كأنك تصف القمر ونوره لأعمى . إن ما تعانيه الشعوب المحرومة من جوع ومرض وتخلف لا تحله الشعارات البراقة والنسيج الخيالي البراق لأوهام الغرب وأحلام الرأسمالية الليبرالية لا يمكن أن يتحقق على أرض الواقع إلا لأفراد قد يزيدون وقد ينقصون حسب ظروف تحقق الحلم ولكن يبقى أكثر من أربعة أخماس العالم جياع ومحرومين . إن السياسة الاقتصادية الرأسمالية تقوم على أساس مصلحي بغيض فهي تصطنع الأزمات التي تقود إلى الحروب والمذابح حتى تستطيع شركاتها الرأسمالية من بيع ما تكدس لديها من أسلحة إن النظام الرأسمالي القائم على أساس حكم الشعب والحريات هو النظام الذي يفعل ما ذكرناه ، والسبب في ذلك أن الشعب لم يُحكم حكما حقيقيا إلى يومنا هذا فالكل يدعي أنه يمتثل لأوامر شعبه ولكن الحقيقة هو ينفذ سياسة الشركات الكبرى التي أوصلته إلى الكرسي.

إن ممارسة الضغط على الشعوب والحكومات وإرغامها على تطبيق النظام الرأسمالي لا يعد نصر (للديمقراطية الليبرالية) كما أن الدخول خوفا أو طمعا لا يعد نصرا بالتأكيد لأن مثل هذه المسائل تشبه إلى حد بعيد مسائل العقيدة والتي لا ينبغي الإكراه عليها لما يؤدي إلى نتائج غير مرضية فهذا الذي دخل مرغما لا تستطيع أن تتنبأ بردود فعله تجاه النظام بصورة عامة وقد يكون رد لفعل مدمر خصوصا مع كمية الحريات المراعاة التي سوف تحقق في بدن هذا المسكين . كما أنك لا تستطيع أن تضمن من دخل معك طمعا لعله يبيع نفسه للغير إذا وجد عنده مقابل مادي أعلى من ما يأخذه ناهيك عن الأمراض الاجتماعية كالسرقات والمخدرات وتفشي الجريمة والبطالة والجهل بالمبادئ والقيم والمشتركات الإنسانية .

إن فرض أي شئ على الناس تكون مردوداته سلبية في الأعم الأغلب وفق المعطيات والوقائع كما أن منع شيئ عن الناس يكون كذلك انطلاقا من قاعدة كل ممنوع مرغوب لذا اقتضت الوسطية أن تكون هي الراجحة . لم أجد وسطية واعتدالا كما وجدته في الإسلام من حيث كونه منهج شمولي للحياة ومن حيث كونه دين إنساني. ابتداء في وسطية في التعاطي العقائدي انطلاقا من قوله تعالى (لا إكراه في الدين)[20] وانتهاء بأدق مفردات الحياة الشخصية . والوقائع تدلنا على ذلك حسب المسيرة التكاملية للإنسان والإنسانية . وان اتهام الغرب للإسلام والمسلمين بأنهم إرهابيين ينطلق من الحيثيات التالية:-

1- الفهم الخاطئ للإسلام من قبل شريحة من المسلمين وإيصال هذا الفكر عن طريق استخدام العنف المسلح .

2- الفهم الغربي الخاطئ حول مفهوم الحضارات وسبب نشوئها وانهيارها كون لديهم تصور غير صحيح أن الحضارات قد انتهت بقيام الحضارة الغربية وقد عزز هذا المفهوم التطور التقني الهائل والسريع لديهم .

3- انعكاس مثل هذا المفاهيم على أرض الواقع من خلال الاستعمار الأوربي – الأمريكي الحديث عزز المفهوم الذي ينص على أن الحرب مع العالم الإسلامي هي حرب إثبات وجود مما حفز المسلمين على الرد بانفعالات غير مدروسة وغير (مؤد لجة) فاستغل الغرب هذه النقطة وغيرها في بسط هيمنته على العالم الإسلامي بصورة شبه كاملة.

4- تعمد الغرب دائما إلى استفزاز المسلمين حتى يوقعهم –أي يوقع بسطائهم- في الخطأ ثم يشير أليهم بإصبع الاتهام وأخرها ما نشهده على الساحة ألان من رسم صور مسيئة إلى مقام النبوة الشامخ وما تبعه من تداعيات خطيرة استغلها الغرب استغلالا امثل ضد المسلمين من خلال تمرير قوانين تحريم المسلمين الذين يعيشون في جاليات مستضعفة هناك ، هذه الجاليات التي تكونت بفعل دعم الغرب لحكومات مستبدة في العالم الإسلامي أهلكت الحرث والنسل مما اضطر المسلمون إلى الهجرة إلى تلك الديار فوقعوا في مصيدة الغرب إما الاندماج في المجتمع الغربي وإما السوط والسيف فهم بين خيارين لا ثالث لهما إما الاندماج في المجتمع الغربي أو العودة إلى الاستبداد . وفي الأغلب يختار الاندماج والانصهار ، ولقد حرم التعريب بعد الهجرة ، فبدل أن ينهض المسلمون ليسقطوا حكامهم ويسقطوا دولة الاستبداد آثروا الصعود إلى الجبل كونه أسلم . وسبب عدم المواجهة معروف إلا وهو الخطاب الديني السمج الذي يحرم الخروج على ولاة الأمر حتى لو كانوا ولاة جور وفسوق . إن هكذا خطاب وغيره هو أحد أسباب ضعف المسلمين فأنت تُعلمه أن لا يجوز الخروج على إمام زمانه وهو يرى أن إمامه فاجر فتتنازع الهموم في قلبه ويحطم التناقض عقله فهو كانسان يشعر انطلاقا من فطرته وعقله أن الظلم قبيح والسكوت عن القبيح أقبح منه ، وهناك نص مفتعل من قبل علماء البلاط وفقهاء السوء يدعو إلى عدم التغيير.

إضافة إلى بريق الغرب الفاتن وسياسة الاستهلاك التي هو محروم منها كل هذه الهموم تدفعه إلى الهروب فإذا به يقع في شباك العنكبوت تمتص قيمه كما تمتص جهده وعرقه فتحوله إلى مسخ في ديانته وهكذا يلد جيل بعد جيل فيذوب الإسلام وينتصر الغرب . أما الجزء الآخر فهو متمثل بفرض النظام العالمي الجديد المتمثل في (العولمة) مرة بقوة السلاح وأخرى بالترهيب والترغيب .

ثالثاً : الرأسمالية الليبرالية :-

إن الليبرالية[21] بشكل عام هي الفكرة السياسية التي تطالب بمجال واسع لممارسة الأفراد لحرياتهم دون تدخل بعضهم في أفعال البعض ودون تدخل الدولة فيها إلا بما يحفظ هذه الحريات ، لذا لجأ المنظرون الليبراليون إلى التفريق بين ما يسمونه بالأخلاق الجوهرية ، وهي تتعلق بتصورات الأفراد للحياة الخاصة بهم وبين ما يسمونه بالأخلاق العامة وهي قيم عامة تنظم تحصيل الأخلاق الجوهرية ، ثم جعلوا دور الدولة ينحصر في تحديد الأخلاق العامة ، وهذا يعني أن الليبرالية الرأسمالية تفرق بين الجانب السياسي الذي تنهض به الدولة وتمثله في الغالب مبادئ العدل ، وبين الجانب الأخلاقي الذي يستقل به الفرد والذي تمثله قيم الخير ، بل تتجاوز ذلك من خلال جعل السياسي مقدما على الأخلاقي.

وبناء على ذلك اقر الليبراليون مبدأين هما :- مبدأ التعارض بين العقل والدين الذي نشأ عن ظرف تعدد القيم الأخلاقية ، ومبدأ التعارض بين السياسي والأخلاقي الذي نشأ عن ظرف أيديولوجي وسيتم تحليل هذه المبادئ بالشكل التالي :

أ)- مبدأ التعارض بين العقل والدين :-

إن مبدأ التعارض هذا في تصور الليبراليون فتح الطريق للتعامل مع تصادم القيم الأخلاقية ، حيث أتاح هذا القول إلى (يورغن هابر ماس)[22] و(كارل أوتوا أبل)[23] فرصة حفظ أحد الطرفين المتعارضين وهو العقل، وصرف الطرف الثاني وهو الدين ، إذا استند أساسا إلى العقل على حساب الدين واتحد هذا التمايز في حفظ العقل إلى صورتين هما صورة نسبية تمثلت في قبول القيم الأخلاقية مجتمعة دون نقد ، وهذا ما فعله (هابرماس)

أما الصورة الثانية هي صورة مطلقة تمثلت في استبدال البرهان على العقل مكان الإيمان بالعقل كما هو عند (كارل أبل).

وهذا التعارض هو الذي انبنت عليه العلمانية إذ يعتبر مذهب تعددية القيم الأخلاقية نتيجة من نتائجها ، وأن تأمل هذا المبدأ يكشف لنا عن نقيض مقصود العلماني ، إذ أن الفصل بين العقل والدين معنيان كلاهما باطل : كون الدين لا شئ من دون العقل إذ أن النص الديني لا يأتي مجردا من الأدلة العقلية إطلاقا ، بل لابد أن يتضمنه النص غير الديني الصريح ، ومعلوم أنه حيثما وجد الدليل يوجد العقل ، فإذن يكون في النص الديني قدر من العقل يزيد أو ينقص وهذا الشئ هو الإيمان ، ومعلوم أن أحد عناصر الإيمان هو أنه الاعتقاد بغير دليل من العقل المجرد أي أنه قرار غير عقلي فحينما يستعمل هؤلاء عبارة (النص الديني) فالمراد عندهم (النص الإيماني) ومن ذلك يتضح النصان كما ترى مختلفان.

والثاني – أن العقل لاشيء من دون الدين فيه إن الدليل العقلي ليس كل ما فيه مستدل عليه ، بل نجد فيه مالا يستدل عليه ، بدءاً من المقدمات وانتهاءً بقواعد الاستدلال ، فهذه جميعا تكون موضع تسليم ، وواضح أن التسليم هو القبول بغير دليل ، فيكون من جنس الإيمان ، فإذن في الدليل العقلي نصيب من الإيمان ، أي نصيب من القرارات غير العقلية وليس هذا فحسب بل إن اختيار العقل طريقا للتعامل مع تصادم القيم ، علاوة على أنه اختيار أخلاقي، هو قرار إيماني صريح ، حتى أن بعض منظري العقلانية يتكلم بهذا الصدد عن الإيمان بالعقل [24].

إذن يتضح من ذلك أن في الدين عقلا وفي العقل إيماناً ، وهذا يبطل التعارض الذي قال به الليبراليون بين العقل والدين .

ب) - مبدأ التعارض بين السياسة والأخلاق :-

إن طريق التفريق بين السياسة والأخلاق الذي سلكه الفيلسوف الأمريكي (جون رولز) يتطابق مع التعارض الذي أقامه الفكر الليبرالي بين السياسة والأخلاق، ويعد (رولز) من أكبر منظري هذا الفكر فهو يقول إن العدل ما دام نطاقه عام فهو شأن سياسي ، والخير ما دام نطاقه خاص فهو شأن أخلاقي ، ولما كان التعارض بين السياسي والأخلاقي يحتمل وجهين في الترتيب: تقديم السياسي على الأخلاقي وتقديم الأخلاقي على السياسي ، أخذ جون رولز بالوجه الأول ، فجعل العدل متقدماً على الخير ، من خلال قوله لولا العدل لما كان ثمة خير ، كما جعله متقدما في الشرف عليه تقدم الفاضل على المفضول[25].

ومن أجل نقد هذا المبدأ نقول بأن من مسلمات العقل الإنساني هو القول إن كل فعل إنساني لابد أن يصطبغ بصبغة أخلاقية إما بشكل مباشر او من خلال واسطة ، وبناءً على ما تقدم لابد أن يندرج كل فعل سياسي تحت الفعل الخلقي، إلا أن هذا الإندراج ليس بشكل مباشر إنما يتأسس الفعل السياسي مبدئيا على ركنين هما : 1) المصلحة . 2) السلطة . ، والمصلحة إما تكون نافعة فينبغي جلبها وهي فعل حسن ، وإما تكون ضارة فينبغي دفعها وهي فعل قبيح ، والحسن والقبح قيمتان أخلاقيتان .

أما السلطة هي الأخرى موزعة بين مؤسسات مختلفة فتحتمل تصرفات عادلة، وإما مجتمعة في مؤسسة واحدة فتترجح فيها التصرفات الظالمة ،وكما هو معلوم بأن الظلم والعدل هما قيمتان أخلاقيتان [26].

إذن نستطيع القول أن (رولز) صاحب نظرية التفريق هذه ، هو نفسه لم يفرق بين النظرية السياسية والنظرية الأخلاقية وذلك في كتابه الأول الموسوم (نظرية العدل) ولم يعمد على مسألة التفريق هذه إلا بعد أن وجهت على نظريته في العدل اعتراضات شتى ، لذا وجد في هذا المسلك مخرجاً مناسباً لدفع هذه الاعتراضات ، جاعلا متعلق السياسة هو العدل ومتعلق الأخلاق هو الخير. وعلى هذا يكون (جون رولز) قد تصنع هذا التفريق دفاعا عن نظريته ، والدليل على هذا التصنع أنه رتب العدل فوق الخير وهذا لا يصح مطلقا ، إذ يقول الدكتور طه عبد الرحمن في هذا الخصوص إن (العدل هو نفسه خير ولأن ما انطوى في مبادئه ومقتضياته من قيم المساواة والحرية والاحترام والتسامح والاعتدال والتعاون وهي الأخرى خيرات)[27].

كما يؤكد الأستاذ طه عبد الرحمن أن المفكر (جون رولز) قد اضطر في نهاية المطاف إلى التسليم بوجود نظرية أخلاقية جوهرية يستند إليها مفهوم الخير .

أما إذا قال قائل أن المقصود بالعدل عند جون رولز هو العدل التوزيعي المتعلق بتقسيم موارد محدودة بالسوية ، وليس العدالة بمعنى الاستقامة في السلوك ، قلنا بأن هذا التوزيع بموجب المسلمة التي انطلقنا منها وهي القول بأن (كل فعل إنساني لابد أن يصبغ بصيغة أخلاقية) يجوز أن يعد فعلا أخلاقيا. بعد بيان جذور وأسس نظرية العولمة في الفكر الغربي والأمريكي خصوصا ونحن نحاول بيان موقفنا كعرب من العولمة وذلك في محاولة الحفاظ على تراثنا وهويتنا وخصوصيتنا الحضارية ، في ظل هذا التيار العولمي وذلك من خلال طرح السؤال التالي : كيف نحافظ على قيمنا الأخلاقية في ظل هيمنة العولمة ؟

هل بالامكان توظيف تراثنا الديني والقيمي في التعامل مع ظاهرة العولمة ، إذا أمكننا توظيف موروثنا الثقافي والحضاري في التعامل مع العولمة ، فهل ثمة إمكانية لأن ننجح في الوصول إلى وضع أو حالة حضارية معينة تجعلنا نعيش في عالم اليوم ونحافظ في نفس الوقت على قيمنا وعقائدنا ؟

إننا أبناء حضارة يقتضي الالتزام بها والمحافظة عليها والمحافظة على قدر من الخصوصية لكل أمة من الأمم ومن أجل التمكن من المحافظة على الخصوصية الثقافية والحضارية والقيمة الأخلاقية لكل شعب من شعوب العالم ، ومن هذه الشعوب والأمم الشعب الإسلامي ، يقتضي المحافظة على (اقتصاد قوي لشعوبنا وحرية الاعتقاد التي تقتضي حرية اتخاذ القرار ، وهذا الأخير تدعمه المقدرة الاقتصادية ..... تلك المقدرة التي يؤثر عليها سلبا الانصياع لقيم الغرب والاندماج في آليات اقتصاديات السوق بالشكل الذي يخطط له دعاة العولمة)[28].

وهذا لا يعني أننا ندعو إلى الانكفاء على الذات أو نرفض التواصل مع المستجدات الحضارية المعاصرة ، لأننا نؤمن بأن الانغلاق لن يحل المشكلة ، إن المطلوب هو توظيف ما لدينا من قدرات ثقافية وقيم أخلاقية نبيلة في حث الذات على الإنتاج والإبداع ، وهذا العمل في رأي الدكتور آمان هو مطابق لأوامر الشريعة الإسلامية التي تدعو إلى الإبداع والإنتاج من أجل (أعمار الكون باعتباره هدفا من أهداف المعرفة الإنسانية ودورا من الأدوار التي أرادت الشريعة للإنسان المسلم تأديتها في هذا الوجود)[29].

إن في تصورنا إذا ما استجابت الشعوب الإسلامية لمهيمنات العولمة ، كما يزينها الغرب وأمريكا سيولد السلبيات التالية :-

1- إن أخطر هذه السلبيات علينا كشعوب إسلامية هو انتشار بعض القيم والعادات الأخلاقية والسلوكية التي تتعارض من حيث الجوهر والمظهر مع ديننا وعقيدتنا شكلا ومظهرا .... وانتشار هذه الأمور الغريبة على مجتمعنا وقيمنا الأصيلة ، من شانه أن يعمل على إفساد المجتمع وتحطيم قيمه النبيلة إذا خسر أعز وأغلى ما لديه.

2- هناك خطر التأثير السلبي على اقتصاديات شعوبنا الإسلامية مما يؤدي إلى التأثير السلبي على قرارات قادة المسلمين السياسية وبالتالي على بناء مجتمعاتنا وتماسكها.

3- الدعوة إلى الديمقراطية ، لكن ما هي الديمقراطية التي تدعو إليها العولمة ؟ إنها الديمقراطية على النمط الأمريكي التي تقوم على سيطرة أصحاب رؤوس الأموال على مقدرات العالم والاحتكام إلى مصالح الشركات المتعددة الجنسيات والكارتلات الاقتصادية العالمية . ثم أية حرية تلك التي تفرزها العولمة وهي ترفض في نظامها العالمي الجديد اختيارات الشعوب والدول رغم ادعائها في الوقت نفسه حرصها على الحريات الفردية .

4- ادعاء الولايات المتحدة الأمريكية احترام حقوق الإنسان ، وكما هو معلوم لدى شعوب العالم ، أن الولايات المتحدة قد طردت من اللجنة الدولية لحقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة ، نستطيع أن نفهم مدى التداعي والانهيار الذي يحيط الفهم العولمي الأمريكي لحقوق الإنسان ، وأية حقوق للإنسان تلك التي تجيز تقتيل الشعوب ومحاصرتهم وتجويعهم وحرمانهم من أبسط متطلبات الإنسانية .

5- إن من المخاطر السلبية الذي تمثله العولمة بالنسبة للعالم الإسلامي هو أنها تؤسس لإنشاء علاقات اقتصادية بين دول إسلامية والكيان الصهيوني تحت تسميات متعددة مثل الشرق أوسطية ودول حوض البحر المتوسط ، هذه التسميات التي بدأت تطفو على السطح ألان لتداولها على نطاق واسع تمهد لإقامة مشاريع اقتصادية بين المسلمين والكيان الصهيوني من خلال إعطاء الحرية لرأس المال الإسرائيلي للتنقل في البلدان الإسلامية ولإقامة مشاريع استثمارية فيها . فضلا عن جعل دول إسلامية معينة كأسواق لتصريف البضاعة الإسرائيلية من جهة ، وتحقيق التطبيع بين الدول الإسلامية والكيان الصهيوني كخطوة لاحقة من جهة أخرى.

6- قد يصبح التراث الإسلامي مجرد (فولكلور) لا معنى أساسي له مع استفحال العولمة . وهو أمر ليس بغريب إذ يتأكد لنا يوم بعد آخر أن مصدر العولمة هو الصهيونية وأن هذه الأخيرة تعمل بشتى الوسائل للقضاء على الإسلام ، وعلى هذا المستوى بالذات تختلف علاقة العولمة عن علاقتها بالأمم الأخرى ، وهذه الملاحظة تؤدي في الحقيقة إلى القول بأن العولمة هي كذلك فقط (عولمة) من حيث نتائجها المعلنة ، أما من ناحية مصدرها ونتائجها الحقيقية فهي تخص فئة معينة مبعثرة في العالم . إن عولمة اليوم تديرها الصهيونية بامتلاكها لوسائل الهيمنة وهي أساسا المال والتكنولوجيا ، وأن هذه الحركة التي بدأت بالمطالبة بالوطن والأرض تريد ألان جاهدة إقصاء من تراهم منافسيها على الأرض والوطن وهم المسلمين أصحاب الحق الشرعي[30].

إن هدفنا من هذه الدراسة ليس الترويج لرفض العولمة وكذلك ليس التأكيد على سلبياتها ، إنما هدفنا هو التنبيه إلى ما يمكن أن يصيبنا كذوات مفردة وكمجتمعات من جراء اللهث وراء الدخول إلى ساحة العولمة ، أو من جراء الانخداع في الشعارات التي يرفعها دعاة هذا النظام العالمي الجديد ، إذ يتستر الليبراليون وراء العولمة من أجل نشر فكرهم وثقافتهم وبالتالي تحقيق أهدافهم البعيدة والتي يعد أخرها احتواء العالم تحت مظلة واحدة هي مظلة الرأسمالية الليبرالية .

إذن هدفنا من هذه الدراسة هو كشف السبل والطرق التي يتخذها الآخر الأقوى والمتقدم من أجل فرض كلمته على الجميع . لقد أصبح من الواضح أن الولايات المتحدة الأمريكية لن تترك سبيلا أو طريقا يساعدها على التغلغل داخل بنية الأمم والشعوب إلا استغلته في نشر نظريتها الجديدة (العولمة). لذلك نعتبر الكشف عن الأخر في تصورنا هو محاولة تحصين الذات من خلال نشر حالة الوعي الشامل لدى الشعب الإسلامي وذلك بالتركيز على أهمية الهوية الثقافية والشخصية الحضارية للأمة. إذ أن على المسلمين مواجهة أبعاد العولمة بكل جوانبها السياسية ، الاقتصادية ، الثقافية ، والاجتماعية . وهذا أمر يتطلب (تظافر الجهود ومحاولة تحقيق التضامن بين الدول الإسلامية والابتعاد قدر الامكان عن مثيرات الصراع فيما بينها ، لان وجود المسلمين أصبح في ظل اطروحات العولمة على المحك ، وأصبح الخطر محدقا بهويتنا الثقافية وثوابتنا الأخلاقية والحضارية ومنطلقاتنا التاريخية)[31].

إذن لابد أن نصل إلى نوع من التقارب في علاقاتنا من أجل التغلب على حالة التمزق والتشتت والفرقة ، ويجب أن يتحقق ذلك على الصعيد الفكري والسياسي معا ، من أجل الوصول في النهاية إلى صياغة أطر حديثة وملائمة لتحديات العولمة ، تتم من خلال تحصين ذواتنا الثقافية والأخلاقية والحضارية ضد إمكانيات التذويب في إطار بوتقة العولمة والوصول إلى نظرة موحدة هدفها الاستجابة إلى منطق العصر والاستجابة لتحديات العولمة في أبعادها ومظاهرها المختلفة.

نتائج وتوصيات :-

1- ضرورة المحافظة على جوهر هويتنا ، خاصة وأننا مستهدفون من قبل الغرب والصهيونية . وأن المحافظة على الهوية تكون في إيجاد نوع من التوازن والمعادلة بين التشبث بماهيتنا الحضارية ومسايرة العصر، إذ يجب أن نساهم في المسيرة الحضارية الإنسانية بكفاءة ودون عنصرية، أي أن نرى العالم الجديد بأعيننا الأصيلة وأن نتعامل معه من خلال ذاتنا التي ينبغي أن تكون في هذا الفعل ورد الفعل خلاقة وناجحة من خلال الدفاع بكل ما نملك عن هويتنا وقيمنا الأخلاقية وذاتنا المستقلة الحرة وأن نحترم من يحترم إنسانيتنا وحضارتنا.

2- إنشاء نظام تربوي موحد يضع مناهج موحدة ويرسم آليات مشتركة للمسيرة التربوية بين كافة الدول الإسلامية ، ويأخذ بنظر الاعتبار القفزات الهائلة التي حدثت خلال السنوات الأخيرة في مناهج التربية ووسائل التعليم . وتوظيف أحدث المبتكرات العلمية من أجل النهوض في المشروع التربوي الإسلامي حتى يكون من أهم روافد المجتمع الإسلامي بالكفاءات العلمية المتخصصة في مختلف مجالات الحياة .

3- إن التسلط السياسي في عالم اليوم ، ونبذ الأخلاق ، أي إطلاق الزمام للسياسة . ولا سبيل إلى دفع هذا التسلط إلا بتحصيل اليقين بأن النظرية السياسية مهما كانت متعلقاتها : سلطة أو مصلحة أو عدلاً أو حقاً ، لا يمكن أن تستقل عن نظرية الخير ، لأن متعلقها لا بد أن يكتسب قيمة خاصة ، وهذه القيمة الخاصة ينبغي أن تكون خيراً بل ينبغي أن يكون للخير والقيم الأخلاقية حضور ومشاركة ضرورية في أي نظرية سياسية عقلانية .

4- من خلال ما تقدم يتضح لنا ضرورة تأسيس العقل على الإيمان من أجل التخلص من التسيب العقلي وعدم إطلاق العنان للعقل ، ولا سبيل إلى دفع هذا التسيب إلا بشيء يتقدم على العقل ، ولا يتقدم عليه إلا الأيمان ، بدليل إن الأخذ بالعقل نفسه يحتاج إلى الأيمان به . إن الأيمان في مجال العقل كالأيمان في مجال الدين فكلاهما لا غنى له عن العقل المجرد ،

ومتى استند العقل إلى الأيمان وجد فيه هاديا يهديه إلى طريق القيم التي لا يتبدل فيه العقل ولا يتخبط.

هوامش البحث :-

1- صموئيل فلبس هنتنغتون (1927-2008م) ويخلص إلى القول بأنه لكي نفهم النزاع في عصرنا وفي المستقبل ،يجب أن نفهم الخلافات الثقافية، والثقافة (بدل من الدولة) إذ يجب أن يتم القبول بها كطرف وموقع للحرب ،لذالك فقد حذر أن الأمم الغربية قد تفقد زعامتها، إذا فشلت في فهم الطبية غير القابلة للتوفيق للاحتقانات المتنامية حاليا للمزيد ينظر :صموئيل هنتنغتون، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي، ترجمة د-مالك عبيد والدكتور محمود محمد خلف، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ،ط1، ليبيا، سنة1999م.

2- ينظر: صموئيل هنتنغتون: صدام الحضارات، ط1 ، مركز الدراسات الاستراتيجية، بيروت ، 1995 .

3- طه عبد الرحمن ،تعددية القيم بين واجب التعدد وواقع الصدام، دراسات فلسفية، العدد الثاني سنة 2002، ص 107.

4- ينظر:كانت،عمانوئيل،نظرية في التاريخ العام بالمعنى العالمي ،ترجمة عبدالرحمن بدوي ،منشور في كتاب النقد التاريخي لعبد الرحمن بدوي ،القاهرة 1970 م ، ص2870وكذلك ينظر: سعدي ،محمد ،مستقبل العلاقات الدولية من صراع الحضارات إلى أنسنة الحضارة ،ص 53 .

5- أول من قال بالصيرورة المادية هو الفيلسوف اليوناني هيرقليطس (540-480ق0م) إذ يعتبر المؤرخون فيلسوف الصيرورة والتحول الدائم في جميع الأشياء ،للمزيد ينظر: لالاند، اندريه ،موسوعة لالاند الفلسفية، ترجمة خليل احمد خليل، منشورات عويدات، بيروت – باريس ،ط2 ،سنة 2001م 0وكذلك ، روزنتال ،م0ب0يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم ، دار الطليعة ،ط2، بيروت سنة 2002م .

6- سقراط (470- 399ق0م) فيلسوف يوناني عرف بنقده لأراء الناس من خلال طريقته التي عرفت بالتهكم والتوليد وكذلك عرف عنه بأنه لايهاون الاستبداد ومحاربا شجاعا ومواطنا ممتازا عرف عن طريق تلميذه أفلاطون من خلال محاورات (فيدون،المأدبة) للاستزادة ينظر :جوليا ،ديديه ،قاموس الفلسفة ،ص 255 .

7- كتبها أفلاطون (428- 348ق0م)وهو فيلسوف يوناني ارستقراطي الأصل أسس أكاديميته سنة 387ق0م وقد أنتج ثمانية وعشرون محاورة تعد (الجمهورية ،والقوانين) أهمها.

8- ينظر: أفلاطون ،الجمهورية ،ترجمة حنا خباز ، دار العلم للملايين ،بيروت سنة 1980م ،وللاستزادة وول ديورانت ،قصة الفلسفة ،مكتبة المعارف ،بيروت سنة 1970م،ص 27 .

9- كلمة المسيح معناها الممسوح بزيت البركة لأنهم كانوا يمسحون بهي الملوك والأنبياء والكهنة والبطارقة ،وكانت اليهود في بادئ الأمر يرون أن المسيح ملكا فاتحا مضفرا من نسل داود يسمونه أبن الله (جل جلالة) ويعتقدون أنه سيأتي ليعيد مجد إسرائيل

ويجمع شتات اليهود بفلسطين ويجعل إحكام التوراة نافذة للاستزادة ينظر: الملاح ،هاشم يحيى ،المفصل في فلسفة التاريخ ،ص 89 .

10- يعتبر أهم من كتب عن ذلك أوغسطين ،سان (354-430م) إذ يعد واحد من أشهر أباء الكنيسة اللاتينية ويعتبر مؤسس فلسفة الدين في العصر الوسيط ولقد أظهر دفاعه عن المسيحية من خلال كتبه (المواعظ ،مدينة الله ، ألاعترافات ، ورسالة في النعمة) للاستزادة ينظر: أوغسطين ،كتاب مدينة الله ثلاث مجلدات يحتوي على اثنان فصل ،ترجمة إلى العربية ،الحور أسقف يوحنا الحلو ،دار المشرق ، بيروت سنة 2002م.

11- أظهرت اتجاهات ما بعد الحداثة ردة فعل تجاه الأنماط السائدة في الحداثة فعملت على تقويضها وتدميرها ،كما أنها قامت على محو بعض الفواصل الرئيسية فيها ،وأهمها تأكل الفاصل القديم بين الثقافة العليا وبين ما يسمى الثقافة الجماهيرية : للمزيد ينظر: سبيلا ،محمد ،الحداثة وما بعد الحداثة ،مركز دراسات فلسفة الدين ،توزيع دار الكتاب العربي ، بغداد سنة 2005م.

12- بندكت باروخ سبينوزا(1632- 1677م) وهو فيلسوف هولندي إذ يعد المعبر الحقيقي عن روح العلمية من خلال عنايته في الأسس العلمية للفلسفة وإعطاء دور هام للعلم في الفلسفة الأخلاقية 0للمزيد ينظر :أندريه كريسون ، سبينوزا ،ص 5-19 وكذلك ينظر: Wolfson, H. A.: The philosophy of Spinoza, P:2-12.

13- يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الحديثة ،لجنة التأليف والنشر والترجمة ،القاهرة سنة 1956م ،ص 113 .

14- جون لوك (1632-1704م) فيلسوف إنجليزي عرف باهتمامه بالواقع ،إذ يعتبر أن جميع معارفنا ومبادئ عقلنا بالذات ناتجة عن العادة والتجربة ومن أهم مؤلفاته كتابه محاولة لدراسة ملكة الفهم البشري 1690م وكذلك رسائل في التسامح 1689م ،ورسائل في حكم المدني 1690م ، ورسالة في التربية 1693م 0للاستزادة ينظر:ديديه،جوليا،قاموس الفلسفة ،ترجمة فرنسوا أيوب وآخرون ،مكتبة أنطوان ،بيروت ،ط1،سنة 1942م، ص 459

15- يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة الحديثة ،ص 143.

16- فرانسيس فوكوياما ،كاتب ومفكر أمريكي الجنسية،من أصول يابانية ،ولد في مدينة شيكاغو الأمريكية عام 1952م 0 يعد من أهم مفكري المحافظين الجدد ، للمزيد ينظر :مارتن غويغيش ،خمسون مفكرا في العلاقات الدولية ،مركز الخليج للأبحاث ،دبي الإمارات العربية المتحدة ،ط1،سنة 2008م،ص 143 .

17- الشيوعية :مذهب اجتماعي ينادي بوضع كل الخيرات في متناول الجميع وإزالة كل ملكية الفرد وردت فكرة مثل هذا النظام في جمهورية أفلاطون ثم عادت لتظهر في عصر النهضة في كتابات توماس مور (المدينة الطوباوية)وكامبانيلا (مدينة الشمس)0 للمزيد ينظر:مجاهد ،حورية توفيق ،الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده ،مكتبة الانجلو المصرية ، مصر ، ط3، سنة 1999م 0وكذلك ينظر:كورن فورث ،موريس ،مدخل إلى المادية الجدلية ،ترجمة محمد مستجير مصطفى ،دار الفارابي، بيروت ،ط3، سنة 1990م.

18- ينظر: ألحديثي ،د- سعد خميس ،العولمة بين منطلقاتها التاريخية وإبعادها المستقبلية ،دراسات فلسفية ،العدد الثاني سنة 2002م 0 ص 48 .

19- فوكوياما : نهاية التاريخ ،ص 26.

20 - القران الكريم ،سورة البقرة ،آية 256.

21- الليبرالية : تعني مذهب الأحرار عند اغلب الباحثين والمفكرين وهي مبدأ وسط بين الرجعية وبين الراديكالية0للمزيد ينظر: ألكيالي ،عبد الوهاب ،موسوعة السياسية ، ج2، ص 814 0 وكذلك ينظر:بوترين ،يوريس ،قاموس موجز للاصطلاحات السياسية ،دار النشر وكالة نوفوسين ،سنة 1983م،ص 78 .

22- يورغن هابر ماس ولد في ألمانيا مدينة دوسلدورف عام 1929م0 صاحب مشروع يهدف إلى محاولة تحرير المجتمع المعاصر من أشكال العبودية ووطأة الهيمنة وقهر الندرة والانفعالات الحادة فان ذلك يبدأ من اللغة بوصفها تواصلا للاستزادة ينظر: إيفاد ،فرانسوا ، يورغن هابر ماس ،جدلية العقل الحديث ،مجلة أفاق عربية ،العدد الخاص ،سنة 1991م،ص73.

23- كارل أوتوا أبل (1922م) فيلسوف ألماني معاصر بمثل ما يسمى بالتداولية البراغماتية الترانسندنتالية ،ويرى أبل إن العلم ليس نشاطا عقلانيا وفرديا ،بل هو يفترض مجموعة من الحجج أو أدبيات المناقشة ،للمزيد ينظر :دوريته ،جان فرنسوا،معجم العلوم الإنسانية ،ص14.

24- ينظر: طه عبد الرحمن ،تعددية القيم بين واجب التعدد وواقع الصدام ،دراسات فلسفية ،العدد الثاني ،سنة 2002م، ص 113.

25- ينظر:جون رولز ،العدالة كإنصاف ،إعادة صياغة ،ترجمة د-حيدر حاج إسماعيل ، المنظمة العربية للترجمة ،مركز دراسات الوحدة العربية ،ط1، بيروت سنة 2009م.

26- المصدر نفسه ،ص 114.

27- المصدر نفسه ،ص 114.

28- آمان عبد المؤمن :العولمة / محاولة الفرض على العالم العربي الإسلامي،دراسات فلسفية ،العدد الثاني سنة 2002م، ص58 .

29- آمان عبد المؤمن :إشكالية المعرفة ، طنطا، دار الثقافة ،سنة 1999م، ص7.

30- للاستزادة ينظر: د- مجدي يوسف :الندوة الفكرية حول العولمة ،طرابلس ،ليبيا ، منشورات دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.

31-ينظر: ألحديثي ، د- سعد خميس،العولمة بين منطلقاتها التاريخية وإبعادها المستقبلية ،دراسات فلسفيه ،العدد الثاني ، سنة 2002م،ص52.

Abstract

Our Identity under Their Dominates

A Reading of the Islamic Identity Problem and the Civilizations Clash

By:-

Dr. Jameel Helayil Ne`ama Al-Mea`la

The Study Problem:

Here we are trying to study the value dimensions reason under Globalization to reveal the moral impulses that are motivated by the pragmatic dimension which uses power as a motive and utilities as end.

According to its hypotheses, Globalization depends on the economic ideas and on imposing the military domination which depends on power, on one hand, and, on the other hand, on the others cultural and value critique, that aims at advertisement which is achieved by changing the value dimension, and at creating other dimensions depend on commodity and consumption and called for them by media.

The Study Aim :

It is to reveal the means that liberalist capitalism uses to propagandize for a certain education by imposing a certain type of treatment depending on investing the scientific and technical potentialities. This education bases on justifying domination and calling for universality that goes around the capitalism project by the international will, the international law, democracy and human rights. At the same time we find that the motive of these categories is to justify predominance and using the other treasures and that makes these mottos just a propaganda to justify the liberalist capitalism control.

The study Scope :

This treatment based on exhibiting the educational control that put forward means depend on loss and neglecting the identity which push the lost far from their homes calling for Globalization with a well chosen language to be far from the society cultural and moral elements with the ideas of the nationality end and the racial state to turn world into two parts :- a producer and a consumer, and by drawing the relations between (the self and the other) where the Muslims, today,

feel that they are subject to the increasing neglecting on all levels and the Muslim citizen feel a semi total alienation, what increases this feeling is the Globalization domination which neglect the Islamic culture for the last decades and the scientific centers are away from the educational or cultural act in the whole Islamic world.

Our proof, Dr. Mohammed Al-Ansary said, the weakness of the published cultural production, that relating the Islamic cultural or education, that the daily dealing with the Islamic heritage became neglected on the universal level in spite of the increasing Muslims population, as the Muslims, for America and the whole West, are out of the current history and imprisoned in their ancient history, going, willingly, away from facing the contemporary problems and the requirements of establishing a better future that return the Muslims their role in the comprehensive universal civilization as an actor rather than a consumer of the others cultures or educations.

We believe that drawing the relations between(the self and the other) is achieved by the responsible conversation which is represented by the respect of all parties opinions and the call for the fairly applying of the international laws and decisions. These conditions are urgent for establishing a better future where the conversation replace the immoral military force.

So our Islamic nation has to overcome the reasons of difference and ignorance that are imposed to it to protect the (self) and to maintain the right direction in the current and future time. The current time neglects the weakens, bases on the Globalization and its immoral values, hence we are studying the cultural dimension of Globalization that bases on immoral dominating principle.

Results and Recommendations :

1- The necessity of maintaining the essence of our identity especially that we are subject to the effects of the West and Zionism, this would be by creating the balance between holding our cultural essence and the contemporary developments, where we have to participate effectively in the human cultural civilization march. , i.e. to look at world by our original eyes and to deal with it via our (self) that should be effective and successful by defending our identity, moral values and dependent free (self) and to respect who would respect our humanity and culture.

2- Establishing a unified educational system putting unified methods and drawing common means for the educational march among the Islamic countries, considering the huge development ,that had occurred during the last, of the

educational curricula and teaching methods, and investing the modern scientific inventions to support the Islamic educational project to be one of the important resources of the Islamic society by providing the specialized scientific efficient in all life fields.

3- The only way to face the political immoral domination is to believe that the political theory cannot be separated from the goodness theory, because it must has its own value which should be good. Goodness and moral values must be present and effective in any rational political theory.

4- According to what is mentioned above, it became clear that it is necessary to found mind on belief to avoid the mind lose, and this would be achieved by something that can overcome mind which is belief. Belief, in the field of mind is just like belief in the field of religion, both cannot neglect the abstract mind, if mind depends on belief it will be guided to the values path where mind would not be changed or lost.